

# مكتبة مشكاة الإسلامية

## زاد المسير في علم التفسير

### ابن الجوزي

#### سورة السجدة

وتسمى سورة المضاجع، وهي مكية باجماعهم.  
وقال الكلبي: فيها من المدني ثلاث آيات، أولها قوله: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا} [السجدة 18] وقال مقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ} الآية [السجدة 16] وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات أولها {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ} [السجدة 16]

بسم الله الرحمن الرحيم

{إِنَّا نَنْزِيلُ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَمْ يَقُولُونَ  
فُتِّرَاهُ بَلْ هُوَ لَحَقٌ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ  
لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي  
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ سُبَّحَ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا  
شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ}

قوله تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ} قال مقاتل: المعنى: لا شك فيه أنه تنزيل {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

{أَمْ يَقُولُونَ} بل يقولون، يعني المشركين {فُتِّرَاهُ} محمد من تلقاء نفسه، {بَلْ هُوَ لَحَقٌ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ} يعني: العرب الذين أدركوا رسول الله ص، لم يأتهم نذير من قبل محمد عليه السلام. وما بعده قد سبق تفسيره

[الاعراف 54] إلى قوله: {مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ} يعني الكفار،، يقول: ليس لكم من دون عذابه من ولي، أي: قريب

يمنعكم فيرد عذابه عنكم {وَلَا شَفِيعٍ} يشفع لكم {أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} فتؤمنوا.

{يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ  
مُقَدَّارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ \* ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ  
الرَّحِيمُ \* الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ  
\* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ  
رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}  
قوله تعالى: {يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} في معنى الآية قولان.

أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض، {ثُمَّ يَعْرُجُ} الملك {إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ} من أيام الدنيا، فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الأدمي.

والثاني: يدبر امر الدنيا مدة ايام الدنيا، فينزل القضاء والقدر من السماء إلى الارض، ثم يعرج إليه أي: يعود إليه الأمر والتدبير، حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ } وذلك في يوم القيامة لأن كل يوم من أيام الآخرة كالف سنة.

وقال مجاهد: يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضى لألف سنة أخرى ثم كذلك أبدا.

وللمفسرين في المراد بالأمر ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الوحي، قاله السدي.

والثاني: القضاء، قاله مقاتل.

والثالث: أمر الدنيا.

{ يَعْزُجُ } بمعنى: يصعد. قال الزجاج: يقال: عرجت في السلم أعرج، وعرج الرجل يعرج إذا صار أعرج.

وقرأ معاذ القاريء، وابن السميغ، وابن أبي عبلة: { ثُمَّ يَعْزُجُ إِلَيْهِ } بياء مرفوعة وفتح الراء. وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء: { يَعْزُجُ }

{ بياء مفتوحة وكسر الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: { ثُمَّ يَعْزُجُ } بياء مفتوحة ورفع الراء.

قوله تعالى: { لِّذِي أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ } فيه خمسة أقوال. أحدها: جعله حسنا.

والثاني: أحكم كل شيء، روى عن ابن عباس، وبالاول قال قتادة، وبالثاني قال مجاهد.

والثالث: أحسنه لم يتعلمه من احد،

كما يقال: فلان يحسن كذا، إذا علمه قاله السدي ومقاتل.

والرابع: أن المعنى: ألهم خلقه كل ما يحتاجون إليه، كأنه أعلمهم كل ذلك وأحسنهم، قاله الفراء.

والخامس: أحسن إلى كل شيء خلقه، حكاه الماوردي.

وفي قوله: { خَلَقَهُ } قراءتان. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن

عامر: { خَلَقَهُ } ساكنة اللام. وقرأ الباقر بتحرك اللام. وقال

الزجاج: فتحها على الفعل الماضي، وتسكينها على البدل، فيكون

المعنى: أحسن خلق كل شيء، والعرب تفعل مثل هذا يقدمون

ويؤخرون.

قوله تعالى: { وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ } يعني آدم، { ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ }

أي: ذريته وولده، وقد سبق شرح الآية [المؤمنون 12].

ثم رجع إلى آدم، فقال: { ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي } وقد

سبق بيان ذلك [الحجر 29] ثم عاد إلى ذريته فقال: { وَجَعَلَ لَكُمُ

لِسْمَعًا وَالْأَبْصَارَ } أي: بعد كونكم نطفة.

{ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ

رَبِّهِمْ كَافِرُونَ \* قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ لِمَوْتٍ لِّدِي وَكُلُّكُمْ ثُمَّ إِلَى

**رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ \* وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ {**  
 قوله تعالى: { وَقَالُوا } يعني منكري البعث { صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَعْنَا }  
 { وقرأ علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، وجعفر بن محمد،  
 وابو رجاء، وأبو مجلز، وحמיד، وطلحة: { صَلَّلْنَا } بضاد معجمة  
 مفتوحة وكسر اللام الأولى. قال الفراء: صَلَّلْنَا وَصَلَّلْنَا لغتان، إذا  
 صارت عظامنا ولحومنا ترابا كالأرض، تقول ضل الماء في اللبن،  
 وضل الشيء في الشيء: إذا أخفاه وغلب عليه. وقرأ أبو نهيك،  
 وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو حيوة، وابن أبي عبة: { صَلَّلْنَا }  
 بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى وكسرهما. وقرأ الحسن،  
 وقتادة، ومعاذ القاري: { صللنا } بصاد غير معجمة مفتوحة. وذكر  
 لها الزجاج معنيين:

أحدهما: أنتنا وتغيرنا وتغيرت صورنا، يقال: صل اللحم وأصل إذا  
 أنتن وتغير.

والثاني: صرنا من جنس الصلة وهي الأرض اليابسة.  
 قوله تعالى: { إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ } هذا استفهام إنكار.  
 قوله تعالى: { لِيَذِيَ وَكُلَّ يَكُمُ } أي: بقبض أرواحكم { ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
 تُرْجَعُونَ } يوم الجزاء.

ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ  
 نَاكِسُوا \* رُءُوسِهِمْ } أي: مطأطئوها حياء ونדما، { رَبَّنَا } فيه  
 إضمار «يقولون» { رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا } أي: علمنا صحة ما كنا  
 به مكذبين، فارجعنا إلى الدنيا، وجواب «لو» متروك تقديره: لو  
 رأيت حالهم لرأيت ما يعتبر به، ولشاهدت العجب.

**{ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ لِقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ  
 جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ  
 هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* إِنَّمَا  
 يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ  
 وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* تَتَخَفَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ لِمَضَاجِعَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ  
 خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ  
 لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }**

قوله تعالى: { وَلَكِنْ حَقَّ لِقَوْلُ مِنِّي } أي: وجب وسبق، والقول  
 هو قوله لإبليس { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ }.  
 قوله تعالى: { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } أي: من  
 كفار الفريقين. { فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } قال  
 مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا العذاب. وقال  
 غيره: إذا اضطرحوا فيها قيل لهم: ذوقوا بما نسيتم أي بما تركتم  
 العمل للقاء يومكم هذا، { إِنَّا نَسِينَكُمْ } أي: تركناكم من الرحمة.

قوله تعالى: { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا { أي: وعظوا بها { خَرُّوا سُجَّدًا } أي: سقطوا على وجوههم ساجدين. وقيل: المعنى: إنما يؤمن بفرائضنا من الصلوات الخمس الذين إذا ذكروا بها بالأذان والإقامة خروا سجدا.

قوله تعالى: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ } اختلفوا فيمن نزلت وفي الصلاة التي تتجافى لها جنوبهم على أربعة أقوال.

أحدها: أنها نزلت في المتجهدين بالليل، روى معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ } قال: «قيام العبد من الليل». وفي لفظ آخر أنه قال لمعاذ: «إن شئت أنبأتك بأبواب الخير قال: قلت: أجل يا رسول الله قال: الصوم حنة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يتبغى وجه الله»، ثم قرأ { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ لَمَصَاجِعِ }.

وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقتادة، وابن زيد: إنها في قيام الليل. وقد روى العوفي عن ابن عباس قال: تتجافى جنوبهم لذكر الله، كلما استيقظوا ذكروا الله، إما في الصلاة وإما في قيام أو في قعود أو على جنوبهم، فهم لا يزالون يذكرون الله عز وجل.

والثاني: أنها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله ص، كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء، قاله انس بن مالك.

والثالث: أنها نزلت في صلاة العشاء كان اصحاب رسول الله ص لا ينامون حتى يصلوها، قاله ابن عباس.

والرابع: انها صلاة العشاء والصبح في جماعة، قاله ابو الدرداء، والضحاك.

ومعنى «تتجافى»: ترتفع. والمضاجع جمع مضجع، وهو الموضع الذي يضطجع عليه.

{ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا } من عذابه { وَطَمَعًا } في رحمته وثوابه { وَمِمَّا زَرَقْتَهُمْ يُنْفِقُونَ } في الواجب والتطوع.

{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ } وأسكن ياء «أخفي» حمزة

ويعقوب. قال الزجاج: في هذا دليل على أن المراد بالآية التي قبلها الصلاة في جوف الليل، لأنه عمل يستر الإنسان به، فجعل لفظ ما يجازي به { أُخْفِيَ لَهُمْ } فإذا فتحت ياء أخفي فعلى تأويل الفعل الماضي، وإذا أسكنتها فالمعنى: ما أخفي انا لهم إخبار عن الله تعالى، وكذلك قال الحسن البصري { أُخْفِيَ لَهُمْ } بالخفية خفية، وبالعلانية علانية، وروى أبو هريرة عن رسول الله ص قال:

يقول الله عز وجل: { تَاللَّهِ لُتُسْئَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ لَبَنَاتٍ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ } اقرؤوا إن شئتم: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ }.

قوله تعالى: {مَنْ قُرَّةَ أَعْيُنٍ} وقرأ أبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو عبد الرحمن السلمي، والشَّعْبِي، وقتادة: {مِنْ \* قَرَاتٍ \* أَعْيُنٍ} بألف على الجمع.

{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ \* أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ لِمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ \* وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}

قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} في سبب نزولها قولان.

أحدهما: أن الوليد بن عتبة بن أبي معيط قال لعلي بن أبي طالب: أنا أحد منك سنانا وأبسط منك لسانا وأملاً للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فانما أنت فاسق، فنزلت هذه الآية، فعنى بالمؤمن علياً وبالفاسق الوليد، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن يسار، وعبد الرحمن ابن أبي ليلي، ومقاتل.

والثاني: أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل، قاله شريك. قوله تعالى: {لَا يَسْتَوُونَ} قال الزجاج: المعنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، ويجوز أن يكون لاثنيين، لأن معنى الاثنين جماعة، وقد شهد الله بهذا الكلام لعلي عليه السلام بالإيمان، وأنه في الجنة لقوله: {أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ لِمَأْوَىٰ} وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف: {جَنَّةٌ لِّمَأْوَىٰ} على التوحيد.

قوله تعالى: {نُزُلًا} وقرأ الحسن، والنخعي، والاعمش، وابن أبي عبلة: {نُزُلًا} بتسكين الزاي. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الحج 22] إلى قوله تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِيِّ} وفيه ستة أقوال.

أحدها: أنه ما أصابهم يوم بدر، رواه مسروق عن ابن مسعود وبه قال قتادة، والسدي.

والثاني: سنون أخذوا بها، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود، وبه قال النخعي. وقال مقاتل: أخذوا بالجوع سبع سنين.

والثالث: مصائب الدنيا، قاله أبي بن كعب، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة وأبو العالية، والحسن، وقتادة، والضحاك.

والرابع: الحدود، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والخامس: عذاب القبر، قاله البراء.

والسادس: القتل والجوع، قاله مجاهد.

قوله تعالى: { دُونَ لُعَذَابِ الْأَكْبَرِ } أي: قبل العذاب الأكبر، وفيه قولان.

أحدهما: أنه عذاب يوم القيامة، قاله ابن مسعود.

والثاني: أنه القتل ببدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } قال أبو العالية: لعلهم يتوبون.

وقال ابن مسعود: لعل من بقي منهم يتوب. وقال مقاتل: لكي يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان.

قوله تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ } قد فسرناه في [الكهف: 57].

قوله تعالى: { إِنَّا مِنْ لَمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ } قال زيد بن ربيع: هم أصحاب القدر. وقال مقاتل: هم كفار مكة انتقم الله منهم بالقتل

ببدر، وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجل أرواحهم إلى النار.

{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى لِكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ \* وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ \* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ لِقَائِهِمْ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ \* أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ لَّقُرُونٍ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ لِمَاءَهُ إِلَى الْأَرْضِ لَنُجْزِرَ فَنُخْرِجَ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ \* وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَلْيَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ }

{ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ }

قوله تعالى: { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى لِكِتَابَ } يعني التوراة { فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ } فيه أربعة أقوال.

أحدها: فلا تكن في مرية من لقاء موسى ربه، رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثاني: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله أبو العالية، ومجاهد، وقتادة، وابن السائب.

والثالث: فلا تكن في شك من لقاء الأذى، كما لقي موسى، قاله الحسن.

والرابع: لا تكن في مرية من تلقى موسى كتاب الله بالرضى

والقبول، قاله السدي. قال الزجاج: وقد قيل: فلا تكن في شك

من لقاء موسى الكتاب، فتكون الهاء للكتاب. وقال أبو علي

الفارسي: المعنى: من لقاء موسى الكتاب، فأضيف المصدر إلى

ضمير الكتاب، وفي ذلك مدح له على أمثاله ما أمر به وتنبيه على

الأخذ بمثل هذا الفعل. وفي قوله: { وَجَعَلْنَاهُ هُدًى } قولان.

أحدهما: الكتاب، قاله الحسن.

والثاني: موسى، قاله قتادة.

{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ } أي من بني إسرائيل { أَئِمَّةٌ } أي: قادة في الخير { يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا } أي يدعون الناس إلى طاعة الله. { لَمَّا صَبَرُوا } قرأ ابن كثير وعاصم ونافع وأبو عمرو وابن عامر { لَمَّا صَبَرُوا } بفتح اللام وتشديد الميم. وقرأ حمزة والكسائي { لَمَّا } بكسر اللام خفيفة. وقرأ ابن مسعود { بِمَا } بباء مكان اللام، والمراد صبرهم على دينهم وأذى عدوهم. { وَكَانُوا بِنَائِيَتِنَا يُوقِنُونَ } أنها من الله عز وجل، وفيهم قولان. أحدهما: أنهم الأنبياء.

والثاني: أنهم قوم صالحون سوى الأنبياء. وفي هذا تنبيه لقريش انكم إن أطعتم، جعلت منكم أئمة. قوله تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ } أي: يقضي ويحكم، وفي المشار إليهم قولان. أحدهما: أنهم الأنبياء وأممهم.

والثاني: المؤمنون والمشركون. ثم خوف كفار مكة بقوله: { أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ } وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي { يَهْدِ } بالنون وقد سبق تفسيره في [طه: 128]. { أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ لِمَاءٍ } يعني المطر والسيل { إِلَى الْأَرْضِ لَجُزْزٍ } وهي التي لا تنبت وقد ذكرناها في أول [الكهف: 8] فإذا جاء الماء أنبت فيها ما يأكل الناس والأنعام. { وَيَقُولُونَ } يعني كفار مكة { مَتَى هَذَا الْفَتْحُ } وفيه أربعة أقوال.

أحدها: أنه ما فتح يوم بدر، روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: يوم بدر فتح للنبي ص فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت.

والثاني: أنه يوم القيامة وهو يوم الحكم بالثواب والعقاب، قاله مجاهد.

والثالث: أنه اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب في الدنيا، قاله السدي.

والرابع: فتح مكة، قاله ابن السائب والفراء وابن قتيبة، وقد اعترض على هذا القول، فقيل: كيف لا ينفع الكفار إيمانهم يوم الفتح وقد أسلم جماعة وقبل إسلامهم؟ يومئذ، فعنه جوابان. أحدهما: لا ينفع من قتل من الكفار يومئذ إيمانهم بعد الموت، وقد ذكرناه عن ابن عباس. وقد ذكر أهل السير: أن خالدا دخل يوم الفتح من غير الطريق التي دخل منها رسول الله ص، فلقية صفوان بن أمية وسهيل ابن عمرو في آخرين فقاتلوه، فصاح خالد في أصحابه وقتلهم، فقتل أربعة وعشرين من قريش وأربعة من هذيل وانهزموا، فلما ظهر رسول الله ص قال: «ألم أنه عن القتال»؟ فقيل: إن خالدا قوتل فقاتل.

**والثاني: لا ينفع الكفار ما أعطوا من الأمان، لأن النبي ص قال: «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن». قال الزجاج: يقال أمنت فلانا إيماناً، فعلى هذا يكون المعنى لا يدفع هذا الأمان عنهم عذاب الله. وهذا القول الذي قد دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما بينا وجهه لأنه قد قيل. وقد خرج بما ذكرنا في الفتح قولان. أحدهما: أنه الحكم والقضاء، وهو الذي نختاره. والثاني: فتح البلد.**

**قوله تعالى: { فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ } أي: انتظر عذابهم { إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ } بك حوادث الدهر. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بأية السيف.**